

وحدة مصر وسوريا

إذا كان العرب قد حققوا بنضالهم وحدتهم في الجمهورية العربية المتحدة، فإن هذه الوحدة التي حققوها لا يرون فيها الا خطوة، وان الآمال لتبدو اقرب منالا، وأقرب الى الواقع واكثر حقيقة من قبل، ولو ان الذين يعيشون في قلب المعركة في اي قطر من الاقطار لا يؤثر فيهم الزمن، فالنضال يشق حجب الزمن ويكشف عن المستقبل للمناضلين المؤمنين وينقل المستقبل الى الحاضر، ويريهم حقيقة امتهم، ولو ان كثيرا من الحجب الكثيفة والامراض تشوه وجهها، ولكن النضال يعطي الثقة للنفس ويصفي النفس ويظهر الحقيقة ويتيح للمناضلين بأن ينقلوا هكذا ايمانهم الى العدد الاكبر. ولم تكن نشك لحظة واحدة منذ سنين طويلة بأن امتنا امة واحدة من الاطلسي حتى الخليج العربي، وان روحها روح واحدة وان النضال وحده هو الذي ينقل هذه الوحدة من حيز الامكان الى حيز الفعل والتحقيق لأنه يغسل النفس من الادران، وحرارته تذيب ما علق بالامة من تشويه ومن جمود ومن امراض دخيلة، وكنا دوما نعتبر النضال وسيلة وغاية وليس وسيلة فقط من اجل التحرر والتغلب على العدو ولكنه وسيلة لنقترب من انفسنا، من حقيقتنا، لان الوحدة هي حياة وليست جمودا ولا موتا، وعندما تكون الاقطار العربية في حالة التقاعس واليأس والاستكانة فانها لاتفقد شعور الوحدة بينها فحسب وانما الفرد العربي يفقد شعور الوحدة مع اخيه الذي يعيش بجانبه، اما في حالة النضال فان هذه الوحدة تتجسد حقيقة حية وتنهار الأوهام والسدود والمصالح الأنية الحقبيرة، ويرتفع ابناء الامة الى الجو التاريخي، الى جو معنى وجود الامة، جورسالة الامة في الحياة وفي التاريخ وفي الانسانية. واذا ذكر النضال فيجب ان تذكر الجزائر كأكبر وأروع دليل على النضال في كل التاريخ البشري.

ثورة الجزائر ايها الاخوان كان لها آثار ضخمة قوية قد لا نكون وعينا الا جزءاً يسيراً منها، وسنعي بقية هذه الآثار مع الايام والسنين المقبلة، هذا القطر العربي الذي تحمل ما لم يتحمله بلد في العالم من قسوة الاستعمار، واي استعمار واي

وحشية واي حرب! . . . تصميم على الابداء في هذا القطر الذي تجمعت عليه قوى الشر ونذالة المستعمرين بأقوى الصور وابشع الصور تخرج منه اروع الثورات واعمق الثورات معنى وشعبية . . . تخرج الثورة من الفلاحين ، من ابناء الريف البسطاء ، من ابناء الجبال ، من هذه الطبيعة الصافية الروح التي طهرها الالم وتصمد في وجه الجيوش الحديثة والاسلحة الفتاكة فأى اثر اكبر من هذا ، ليس على شعب الجزائر ، بل على الامة العربية بكاملها . انه المثل الحي على ان العروبة خالدة وان في الامة العربية من الامكانيات والاصالة ما يستحيل على الزمن وعلى القوى الاستعمارية الغاشمة مهما اشتدت ان تطفىء هذه الشعلة . . .

ان نضال سورية ونضال مصر ونضال العراق والاردن وعمان ما كان يمكن ان يكون بمثل هذه القوة وما كان يمكن لمصر وسورية ان تصمدا امام مؤامرات الاستعمار وجيوشه المعتدية وضغوطه المتلاحقة لولم يستمدا من ثورة الجزائر ثقة عميقة بالنفس وبأصالة العروبة ، ثقة بما تصبولة العروبة التي بعثت من جديد على ارض الجزائر .

فالوطن العربي وطن واحد ، والشعب العربي شعب واحد ، وهو رغم التباعد ورغم الحواجز يتفاعل بعضه مع بعض ويستمد بعضه من بعض القوة والقدوة والمثل . فكما ان ثورة الجزائر تستمد من نضال العرب في الشرق جرأة وبقينا بالنصر القريب وشعورا بأن الجزائر ليست وحيدة وانما لها اخوة ، كذلك نحن استوحينا من ثورة الجزائر ثقة عظيمة ، في هذا الوقت الذي يحقق العرب فيه هذه الخطوة التاريخية ، وحدة سوريا ومصر ، التي سيكون لها اعظم التأثير في تاريخهم وتاريخ البشرية ، لننظر ولنتجه بأنظارنا وقلوبنا الى اخواننا في الجزائر لان لهم النصيب الاول في تحقيق هذه الخطوة .

لقد اعطت ثورة الجزائر دليلا قويا على ان الامة العربية بلغت بعد طول التحمل والمحن والتخلف الطويل بلغت مستوى من النضج يؤهلها بأن تنطلق من جديد ليس من اجل طرد المستعمرين فحسب بل من اجل بناء مجتمع عربي جديد ومن اجل الكفاح وحمل رسالة الى العالم كما حملتها من قبل ، اذ لولم تكن امتنا قد بلغت هذا

المستوى لما رأينا حركات ثلاثا اصيلة عميقة تخرج من اقطار عربية مختلفة ليس بينها صلة وثيقة وليس بينها تعارف، وتخرج وكل حركة منها اتخذت شكلا يختلف عن شكل الاخرى ما لبثت هذه الحركات بعد قليل حتى ظهر انها تتكلم نفس اللغة، وتعلن نفس الاهداف والمبادئ، وتناضل من اجل نفس الغايات والاهداف، هذه الحركات الثلاث حركة البعث، وثورة الجزائر، وثورة مصر.

لقد كنا نقول دوما بأننا لسنا الا تعبيراً عن نضج امتنا، اننا لا نخلق الامة بل هي تخلقتنا، اننا نستمد منها القوة، اننا نترجم فقط حاجاتها وامانيها ونعلن ارادتها، وان قوتنا ما كانت لتكون شيئاً مذكوراً لولا استنادها الى قوة الامة والى هذا الوعي المستمر في كل جزء من اجزائها الذي صقلته التجارب والمحن والالام الطويلة، وهكذا كان لابد لهذه التجارب المتماثلة ان تعطي نفس النتائج في مختلف اقطار الوطن العربي.

فلو كانت الامة العربية غير مؤهلة للبعث وللرسالة العظيمة التي تنتظرها، لما ظهرت هذه الحركات في وقت واحد دون اي تعارف، ومع ذلك فقد اتفقت في المبادئ والاهداف والنضال.

وهذا خير دليل على ان هذه الامة تستطيع ان تمضي بعمق واصالة وان ترتفع الى مستوى التخطيط الموحد الشامل للنضال العربي بعد ان اعطتنا هذه الاحداث والتجارب البراهين الحسية على ان امتنا ناضجة مهياة كل التهيئة ولا تحتاج الا الى الطليعة الواعية التي تتقدم الصف - الى السباقين الذين ينيرون الطريق الى الامام. واعتقد ان كل مناضل حقيقي دخل النضال لمس هذه الحقيقة لمس اليد بأن الشعب العربي يعطي اكثر مما كان ينتظر منه.

فلنتعاهد على ان نجعل من هذا النصر الجزئي الذي حققه جميع العرب في جزء من اجزاء وطنهم، لتعاهد على ان تكون ثمار هذا النصر ايضا لجميع العرب وعلى ان يكون فاتحة جديدة لعمل قومي موحد منظم، وان تكون هذه الوحدة الصغيرة التي يفرح لها العرب في كل مكان ان تكون النواة للوحدة الشاملة وأن تنصب اكثر جهودها في مساندة ودعم حركات التحرر وفي العمل لتوحيد الاقطار

المجزأة لان خطر التجزئة خطر بالغ الخطورة، خطر قتال . واذا (لا سمح الله وهذا لن يكون مطلقاً) انصرفت جهود هذه الجمهورية الى الداخل وقصرت في واجباتها نحو اخوتها في الاقطار الاخرى فان هذا الانصراف يهددها في وجودها، وما دمننا مؤمنين بأن القضية العربية واحدة ومصير العرب واحد فجمهوريتنا الجديدة عندما تدعم الجزائر وتعمل من اجل تحرر اي قطر عربي مكافح فهي تدافع عن نفسها وتبني كيانها . ووحدة سوريا ومصر الآن وبعد هذه التجارب العديدة والنضال الطويل هي مدينة الى هذه الحقيقة بأن قضيتنا واحدة ويجب ان يكون مستقبلها ايضاً ملتزماً بهذه الحقيقة وان ترى حياتها في حياة الاقطار العربية الاخرى .

٢٠ شباط ١٩٥٨